شركة حفر الآبار المائية تحفر سبعة آلاف بئر في أنحاء العراق

العراق يطفو على بحر من المياه الجوفية

إبراهيم عودة الكناني

لغط.. تداولته أكثر من وسيلة اعلامية منذ فترة ليست بالقصيرة عن مياه (دجلة والفرات) والمشاكل التي افتعلتها تركيا منذ سنوات بشأن هذين النهرين..!
وقد أثار تنويه السيد محمد ضاري الشبلي حينما كان مشرفاً على وزارة الري.. من أن تركيا قامت بالفعل ببناء سدود عملاقة على حوضي دجلة والفرات.. وذلك من أجل خزن مياههما وحرمان سوريا والعراق من مواردهما الطبيعية المشروعة.. وأكد الشبلي على سياسة حفر الآبار المائية قرب الأنهار.. وذلك لصلاحيتها للشرب أولاً ولقربها عن السطح ثانياً.. تحسباً لأي طارئ.

ومن أجل تبديد المخاوف كان لنا هذا التحقيق مع مسؤولي (شركة حفر الآبار المائية العامة) والتي ربما يكون اسمها غريباً على الكثير من العراقيين، لنتعرف على إمكانية الشركة.. وماذا هيأت لمواجهة جميع الاحتمالات.

قادنا السيد مدير العلاقات إلى غرفة الجيولوجي ظافر عبد الله معاون مدير عام الشركة الذي أجاب عن تساؤلاتنا قائلاً:

الكل يعلم ما للماء من دور مهم في حياة الإنسان والبلدان.. وإذا ننظر إلى خارطة أنهار العالم نجد أن معظم الأنهار مشتركة بين أكثر من دولة.. الدانوب مثلاً.. تشترك في مياهه ثماني دول أوربية.. النيل يخترق عدة بلدان أفريقية قبل أن يصب في البحر المتوسط، لذلك حدثت الكثير من النزاعات بين أكثر من دولة وبخاصة بين الدول التي تختلف سياسياً، ثمة نزاعات حدثت بين الدنمارك وإنكلترا حول الصيد في بحر الشمال مثلاً.

إلا أن هذه النزاعات اشتدت حينما راحت تلك الدول التي تسيطر على منابع المياه من أراضيها ببناء السدود لتحرم الدولة المجاورة.. وذلك كورقة ضغط للابتزاز برغم أن ثمة مواثيق واتفاقات موقعة من كل الأطراف.. إلا أن هناك من يحاول أن (يتملص) من تلك الاتفاقات.

•فيما يخص أزمتنا مع تركيا الآن.. أليست هناك اتفاقيات رسمية في استثمار مياه النهرين؟

-بين العراق وسوريا وتركيا اتفاقات وخلافات في استثمار مياه نهري دجلة والفرات. إن العراق يحظى بمعظم مجريي النهرين لذلك من حقه المشروع لحصول على أكبر قدر ممكن من مياههما.. لذلك ينظر العراق بقلق شديد لأي سد يقام على النهرين من قبل تركيا أو سوريا.. وهذه المشكلة ليست وليدة اليوم وإنما كانت الخلافات منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي.

•هل لكم أن تتحدثوا.. ولو بإيجاز عن مهام شركتكم قبل التصريحات وبعدها، وبخاصة إن الكثير يجهلون مهامها؟

-بالعكس.. الشركة معروفة على مستوى العراق وخارجه.. وإنجازاتها هي الأخرى معروفة وهي تساهم فعلياً في عملية التنمية من خلال إنجازاتها الرائعة في مشاريع عملاقة في الري والخدمات والعمران وتعبيد الطرق الخارجية ولاسيما التي تمر عبر طرق صحراوية مثل طريق الحج البري، وكذلك في إنشاء المصانع ومراكز الحدود... هي باختصار شديد شركة رائدة، عمرها عشرات السنين ومبدعوها تحملوا الكثير من المعاناة والمشقة والبعد وهم يعملون في الصحراء والمناطق النائية، يواجهون الطبيعة القاسية من أجل صناعة الحياة في كل المناطق التي تكاد أن تحتضر... يعملون على مدار الساعة وبخاصة في المدن والقصبات الحدودية والصحراوية التي لا أنهار فيها. ولا ننسى التوسع السكاني غير الطبيعي للعراق وحاجة المواطن لمياه الشرب، لذلك قامت الشركة بحفر آلاف الآبار في المجمعات السكنية وهي آبار مياهها صالحة للشرب، وكذلك المشاريع الزراعية التي يقتل أرضها الجفاف.

ولدينا تجربة ربما تكون رائدة على مستوى العالم العربي وهي حديثة الزمن، فلقد قامت الشركة بكادرها الوطني الصرف بحفر (1500) بئر في الحملة الوطنية لمحافظة كركوك وبزمن قياسي.. حيث حفر (800 بئر) تتراوح أعماقها من (100-200م) في ستة أشهر فقط كمرحلة أولى وكذلك حفر (700 بئر) تتراوح أعماقها من (200-300م) وبأقطار أكبر في سنة واحدة فقط.. وهي تروي مساحة (120000) دونم زراعي.. وبكلفة أقل بكثير فيما لو تبنت المشروع شركة أجنبية.

•ماذا هيأتم للتصريح الأخير للسيد الشبلي؟

-نتمنى أن يكون المسؤولون الأتراك على مستوى المسؤولية الإنسانية في احترام علاقات الجوار، وكذلك احترام المواثيق الدولية وأن يتجنبوا ارتكاب أي خطأ.. لأن في ذلك ضرر أيصيب جميع الأطراف.. وأقصد تركيا وسوريا والعراق. ولكن ليعلم العراقيون أن بلدهم يطفو على بحر من المياه.. هذا ما أكدته الدراسات الهيدروجيولوجية ولدينا اتجاه للقضاء على التصحر في العراق واستثمار مياه الصحراء الجوفية لثورة زراعية عملاقة.. تلك التي سميت بالأرض الواعدة لكنها تحتاج لجهد جبار ووضع الشركة الآن مرتبك.. لما تعرضت له من عمليات سلب ونهب وتخريب ولكننا نقوم بجهد استثنائي من أجل إعادة عافية الشركة.. لدينا أجهزة حفر متطورة عملاقة ولدينا كادر كبير متمرس وسندعم إمكانياتنا بمجرد أن يستتب الأمن.

دفعنا الفضول لنعرف الكثير عن مهام الشركة وإنجازاتها على مستوى الأرقام فسألنا مسؤولة قسم التخطيط والتابعة السيدة انتصار فرج:

•متى حفرت أول بئر في العراق وكم كان عمقها؟

-أول بئر تم حفرها في العراق عام 1935 وكانت في محافظة الموصل وبعمق 120م وذلك من قبل مديرية المعادن التابعة لشؤون النفط حينها.

•أين تم حفر أعمق بئر من قبل الشركة؟ وأين؟

-أعمق بئر تم حفرها كانت في الصحراء الغربية بعمق 600م وكان إنجازاً رائعاً.

•كم هو عدد الآبار التي تم حفرها من قبل الشركة؟

-منذ عام 1987، تاريخ تحول المؤسسة إلى شركة، قامت كوادرنا بحفر (8406) آبار موزعة بين محافظات المدن التالية: ديالى وكركوك والموصل والسماوة والناصرية وصلاح الدين ومخمور وواسط والأنبار وعنة والصكرة وبغداد.. ومعظمها كانت إما لمعالجة شحة مياه أو لأغراض زراعية أو النفع العام.

•قبل أن تصبح شركة هل هناك من رقم تقريبي من دون الرجوع إلى السجلات؟

-بحدود (7000) بئر على ما أعتقد.

وقبل الخروج من بناية الشركة ذات الطبقات الثلاث.. التقيت أحد رؤساء فرق الحفر وهو يقف بين مجموعة من عماله.. رجل يقترب من الستين.. زمن من التعب راسخ في تجاعيد وجهه الأسمر، عرفت إن اسمه سيد سامي وإنه من أقدم منتسبي الشركة فسألته عن عدد سنوات خدمته في الشركة، فقال:

-أكثر من ثلاثين عاماً.. قضيتها رحالاً من محافظة إلى محافظة ومن قضاء إلى قضاء ومن قرية إلى أخرى ذرعت الصحراء طولاً وعرضاً ونهبت إلى اليمن وبقيت هناك أكثر من سنتين.. سنوات تعب وغربة وبعد، كل ذلك من أجل لقمة الخبز.

•هل تعتقد أن الحفر قد تطور خلال سنوات خدمتك؟

-كثير أجداً وتكاد أن تنعدم النسبة، لأن الشركة تبنت سياسة الاحتكاك بالخبرات الأجنبية، إذ تعاقدت في نهاية السبعينيات من القرن الماضي مع حفارين من الهند وبولندا.. وزجت مجموعة من الحفارين الشباب بدورة في هنكاريا لمدة عام واحد، ومارسنا العمل على أجهزة من مناشئ متنوعة منها روسية وهندية وإيطالية وأمريكية.

•ما أجود تلك الأجهزة من وجهة نظرك؟

-الأمريكية طبعاً.. تصور كان جهاز الحفر الروسي يحفر بئراً في الصحراء الغربية بستة أشهر وبعمق يتراوح من (200-300م). أما الجهاز الأمريكي فيحفر البئر نفسها وبنفس العمق خلال أسبوع فقط..!

•ماذا تشعر حينما تنجز بئراً؟

-أشعر بالفرح والسعادة والزهو.. حينما أرى الماء يتدفق في أرض ميتة.. ويمنحها الحياة أشعر وكأني أحفر البئر لنفسي.

وكان بودي أن أحصل على صورة واحدة لجهاز حفر يمكن أن يرافق هذا التحقيق.. إلا أن يد العبث مزقت كل شيء.. ومع هذا ظل في ذهني سؤال يجول لم أطرحه على أحد.. لأني أعرف جوابه تماماً..

هل تستطيع هذه الشركة الرائدة في عملها والتمكنة.. أن تعوضنا عن مياه دجلة والفرات الخالدين إذ ما قامت السياسة الحمقاء بقطع شرياني الحياة عن العراق أرضاً وناساً؟

مواطنون يكتشفون جانباً من سجله الاسود

صدام متلبساً بجرائم يندى لها الجبين

على مدى اكثر من تسعة اشهر مضت كنت مولعاً بتتبع جرائم صدام، التي ارتكبها هو وزبانيته بحق ابناء الشعب العراقي، من الذين قدّر لهم ان يلتقوا هذا المجرم في ساعة نحس، وقد عنيت بتقصي تفاصيلها من شفاه الضحايا الذين وقع عليهم الظلم، او برواية شهود العيان من اقرب الناس اليهم. هذه اذن بعض الشهادات الصادقة عن عصر دموي استمر عقوداً.

صلاح الدين/ عبد الزهرة المنشداوي

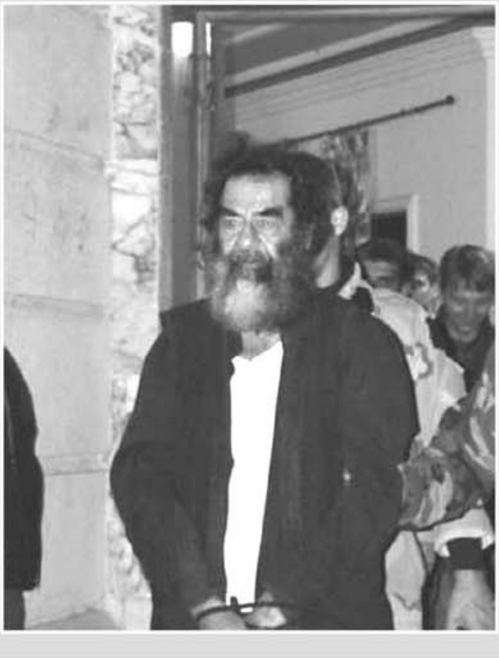

نائب ضابط سابق في جهاز الامن الخاص للنحل واسمه سعدي ابو خالد قال: عمل ابن عم لي في مزارع صدام حول قرية العوجة، وكانت هناك ارض شاسعة قد حرم استغلالها على الفلاحين بعد ان صودرت منهم من دون تعويض، وأمروا بتركها ارضاً بوراً بحجة ان (الكمأ) يكثر فيها في موسم الشتاء.

وكان يقصدها صدام وعائلته مرة كل سنة وكان يحلو لهم البحث عن الكمأ وكانت مهمة ابن عمي حراسة هذه الارض الفضاء بمنع كائن من يكون الاقتراب منها وصادف في احدى المرات مجيئه مع افراد بعض حمايته من دون العائلة، فرأى فتاة ريفية تبحث في الارض عن (الجمة) كما يطلق عليه محلياً، فلم يكن منه غير اخراج مسدسه واطلاق عدة عيارات نارية ارتت الريفية المسكينة قتيلة في الحال وعلى اثرها اصيب ابن عمي بردة فعل نفسية عنيفة وترك العمل في مزارعه.

واضاف سعدي:

قبلها كنت قد زرت ابن عمي في مكان حراسته هذه وعندما كنت اتحدث اليه لمحت مكاناً على الارض فيه بعض الارتفاع فانثنيت لأرفع قطعة الحجارة لأعرف ماذا تحتها حيث خمنت بأن هناك (فطراً) او (جمة) وعندما رفعت هذه الحجارة صرخ ابن عمي بي قائلاً اتركها (يمعود)! واخذ قطعة الحجارة من يدي واعادها الى مكانها بطريقة حذرة وعندما استفسرت منه قال لي:

بأن صدام لو رأى هذا الاثر لأعدمني في الحال حيث سيعرف بأن هناك من كان يبحث عن (الجمة) في مقاطعته هذه!.

اما ابو سفيان وهو من تكريت ايضاً فلقد ذكر لي جريمة اقترفها صدام بحق ثلاثة عشر شاباً من اهالي تكريت، من ضمنهم وكان اثنان من اولاد الشيخ عبد الله الحمود، وهو احد الوجهاء المعروفين في محافظة صلاح الدين، والذي آثر الانزواء من حينها ولم يعد يره احد الا عند خروجه الى صلاة الجمعة.

اثنان من هؤلاء القتلى هم من اولاد جابر دمام التكريتي، اعدموا جميعاً بسبب نقدهم لرموز الدولة وقد حرم على ذويهم بما متعارف عليه، او اقامة مأتم عزاء لهم.

وعن الاستهتار بحقوق الآخرين ذكر لي ابناء عشيرة البو عجيل التي تسكن الضفة المقابلة لقصور صدام من النهر حيث قام احدهم باطلاق عيارات نارية في الهواء محتفلاً بزفاف قريب له، وتشاء الصدف ان يكون صدام طافياً على سطح المياه بواسطة (جوب) سيارة، فأمر ازلامه بإلقاء القبض على جميع المحتفلين وامر بحلاقة نصف شارب كل واحد منهم والدوران بهم في اسواق تكريت على ظهور الحمير ومن ثم امر بسجنهم.

وذكرت احدى النساء ان صدام في خلال جولة قام بها لمنطقة ما لمح فتاة صغيرة مميزة في جمالها كانت تتقدم مع المتجمهرين فأشار لأحد رجال حمايته بأن يعطيها موعداً لمقابلة شخصية فأصطحبت معها عمها بعد ايام لمقابلته واضطر لإنتظارها خارجاً وهي مع صدام.

وعند خروجها لمح بيدها حقيبة يدوية سوداء كانت مملوءة بالدنانير، ولكن الفتاة بدت مرعوبة وبائسة وتذرف الدموع بغزارة!!.

وتحدث لي صديق كان احد انسبائه قد تخصص في صيانة احد الزوارق التي كان يتنزه على ظهره صدام في نهر دجلة بالقرب من تكريت، وذكر ان صدام طلب منه اعداد الزورق وتشغيله للتنزه به، ولكن الذي حدث ان ماطور الزورق ابى ان يعمل برغم محاولة تشغيله لعدة مرات، مما اثار غضب صدام وامر بأرساله الى معسكر ضبط نتج عنه اصابته بداء السكر وتسبب هذا الداء بموته بعد مدة قصيرة.

التقيت احدهم وكان يتكئ على عكاز وتبدو عليه آثار معاناة وآلام ظاهرة للعيان فحدثني بأنه كان قد اشترى سيارة جيب عسكرية من تلك التي باعتها دوائر وزارة الدفاع في المزادات العلنية واول عمل قام به هو انه اراد زيارة احد اقاربه في حي الجهاد فاصطحب معه بسيارة الجيب هذه جميع افراد عائلته: زوجته وطفليه وامه وابيه.

وكان عليه عند عودته من اول ساعات الليل ان يسلك طريق المطار وفجأة أمطرت سيارة الجيب بوابل من الرصاص لم يشعر حينها بما كان يحدث الا في صبيحة اليوم التالي في احد مستشفيات بغداد. وحينها تم اخباره بأن جميع افراد عائلته قد قتلوا وهو الناجي الوحيد وان لم يسلم من اصابات خلفت له عوقاً مزمناً وفي اليوم التالي ارسل له مبلغ مالي بسيط تعويضاً عن حياة زوجته وطفليه وابويه.

وكان ذنبه الوحيد انه اجتاز الشارع في اللحظة التي كان فيها موكب صدام يسلك ذلك الطريق اللعين!.

في (المدى)

حكاية شارع

احمد السعداوي

مناطق كثيرة الآن في بغداد تعاني من انسداد المجاري. وبعض هذه المناطق لم يشهد مشكلة كهذه سابقاً، انها بالنسبة لسكنة هذه الاحياء الطافحة واحدة من مشاكل (ما بعد التغيير!)، اما تلك التي تعاني من انسداد مزمن وطويل فلم يختلف لديها المابعد عن الماقبل.

منطقة حي اور/ الشعب، وبالذات الاحياء الكائنة في نهاية هذه المنطقة.. شهدت مع شتاء هذا العام انسدادات في المجاري حولت المنطقة بكاملها الى بركة كبيرة.. وهذه البركة الكبيرة ترمي بآثارها السلبية على اكثر من جهة وطرف.. فضلاً عن الامراض وصعوبة التنقل بين الازقة.. وغيرها من المشاكل التي تخص سكان المنطقة، نجد ان الشارع الذي يربط المنطقة بمنطقة سبع قصور قد تلف تماماً واصبح مليئاً بالحفر الكبيرة وهذا الشارع يشهد على مدار الساعة ازدحاماً شديداً للمركبات المختلفة.. بسبب ضيقه وغرقه بالمياه.. والحفر العميقة والكثيرة.

سائقو الخط الرابط بين المنطقتين شكوا لنا.. من خراب هذا الشارع بسبب مياه المجاري وصعوبة اصلاحه ما لم تعالج مشكلة المجاري اولاً.

ولتفادي المرور بهذا الشارع.. عمد هؤلاء السائقون الى المرور بين الازقة، لكن اسفلت الازقة تفتت بسبب المياه ومرور السيارات.. وامتلأت الازقة بالحفر ثم قام عدد من سكان هذه الازقة بقطع الطريق بكتل خرسانية وجذوع نخيل لمنع السيارات من المرور في هذه الازقة.

ما الذي حصل بعد ذلك؟

قام سائقو خط حي اور - سبع قصور.. بالالتفاف من وراء السدة الترابية التي تفصل بين الحيين من فتحة في جدار السدة.. والسير بمحاذاتها امام حي الغريري حتى الوصول الى الشارع العام في بداية منطقة سبع قصور. ولكن سكان حي الغريري، وتحت ذرائع مختلفة. قاموا بغلق هذا الطريق الترابي - الطيني بكتل خرسانية.. واكوام من النفايات. هذه التحولات الدرامية لم تجر كلها من دون صراعات ومعارك بين اطراف المشكلة التي سببها انسداد المجاري. وتدخلات من المجالس البلدية. لكن النتائج تبقي الوضع على ما هو عليه. يزيل السواق الحواجز بين الازقة او من امام الشارع المحاذي للسدة امام حي الغريري، ويعمد السكان لاحقاً الى اعادتها.. السيد فريد وحيد الذي يعمل في محل للادوات المنزلية والصحية امام الشارع الغارق والمنكوب.. قال بأن هذه ازمة لن تحل بعد عشر سنوات!!.

وسيتحول الشارع عاجلاً او آجلاً الى وادٍ تهبط فيه السيارات مضطرة فيغرق الركاب اثناء ذلك.. او يستبدل السواق سياراتهم بالقوارب والشاحيف!!

اجرة النقل التي ارتفعت بسبب ازمة الوقود سيئة الصيت.. لم تعد الى وضعها السابق بعد زوال الازمة.. ويعزو السواق ذلك الى معاناتهم مع هذا الشارع الذي ساهم في حصول اعطال كثيرة في سياراتهم. وانهم (خدمة للناس) فقط! يعملون على هذا الشارع ولا يغيرون خطوطهم الى مناطق اخرى.

لا اريد تصديق ان مديرية ماء ومجاري بغداد ستصلح هذا الشارع بعد عشر او خمس سنوات. مثلما لا اصدق انها تملك عصا سحرية ولكن الى متى يبقى المواطن منشغلاً بقضايا تبدو مضحكة لباقي الدول.. او كأنها ضريبة باهظة على من يسكن في المدينة.. التي تخنقه بخرابها.

رأيت امرأة عجوز تنقل خطواتها بصعوبة على احجار موضوعة في الماء الآسن الذي يملأ الازقة وكانت احدى الاحجار بعيدة وتحتاج معها تلك المرأة الى قفزة راقصة باليه حتى لا تقع في الماء.. وآخرون يمشون بمحاذاة الحائط على مساحة شبر يابس بينما سيول الماء القذر تخرج من تحت ابواب البيوت الى الزقاق.